عن المجرى العام للعملية الاجتماعية . ويكون في الوقت نفسه قد مد الواقع باطارات جديدة تمنعه من السقوط في فخ الفجاجة . فلسنا اذن امام حركة وحيدة الجانب . فالحركة المركبة تأتي لتوحد أطراف التجربة وتعطيها بعدها الخاص .

٣ ــ اما **الواقع السياسي المباشر** ، فان لصوته الخاص ايقاع الحلم والاسطورة . لكنه حلم يعبأ في ثلاثة أنواع من التجربة الفنية :

أ ــ ففي قصة (التراب لنا... وللطيور السماء) ينسج تامر اسطورة خاصة تشبه الحكايات الشعبية . وفيها يؤكد على امرين : ــ ضرورة التفاعل مع العلم الحديث وضرورة ترك القديم الموروث . فدمشق المحاصرة ترفض على لسان طبقتها الحاكمة اختراع الطائرة وتجد لنفسها آلاف الاسباب التراثية . فمسألة التقدم العلمي ترتبط بمسألة التقدم الاجتماعي وبتحدي التصدي للاعداء. ولما التهمت النار البيت والعالم والطائرة ، صاح أعوان الملك فرحين ، ولكن صياحهم خنقه سريعا الاعداء الذين نجحوا في التسلل الى دمشق غير مبالين بأسوارها .

ب ــ وفي (الاستغاثة) ينهض يوسف العظمة من قبره . يخرج الى شوارع دمشق حيث يعتقل. وفي القصة تداعيات بين خطواته وحواره وبين احداث معركة ميسلون . فالمعركة كانت اصرارا بطوليا على التمسك بالارض . وحديثه مع المسؤولين اليوم فيه نفس النبرة التي لا تثير فينا الضحك بقدر ما تثير الكآبة . فحين يعود العظمة الى شوارع دمشق ويكتشف الواقع الجديد ، لا يجد لنفسه مكانا سوى في السجن الانفرادي. «وأغمض يوسف العظمة عينيه ، وأحس بأن شرايينه تمتلك آلاف الاجنحة التواقة الى فضاء رحب ، فأطلق استغاثة التقت بالاستغاثة الآتية من ارض يحتلها الاعداء ، وامتزجتا في صراخ مديد تبدد في ظلمة الليل المهيمن على دمشق النائمة ».

ج ــ وفي (رجل غاضب) يتخلى تامر عن البناء الاسطوري ليصل مباشرة الى غايته ، هنا يرتفع صوت احتقار الموت امام رجال يرتجفون هلعا منه. فالموت سخيف . والرجل الغاضب يترك الرجال الذين يرتعدون امامه بعد ان صرخ بهم طالبا منهم محاربة العدو . يتركهم ويطلق الرصاص على صدغه وهو يقول لهم « الموت كما قلت لكم تافه وسخيف » .

٤ ــ وفي قصص **حارة السعدي** يحافظ المؤلف على مذاق الدهشة في قصصه ، لكنه يطرح بشكل مباشر **المسألة الاجتماعية** . مسألة تحرر المرأة . فالمرأة تذبح في سبيل الشرف . وترتكب الجرائم من أجلها . والتخلف الاجتماعي الذي يسحق حارة السعدي يمتد الى جميع مرافق الحياة . فالحياة رتيبة باردة وجامدة . واي محاولة لتحريك الماء على سطحها تصطدم بسدود قوية من التقاليد والقيم . لذلك فحين ترتفع لوحة الحارة ، فانها تمزج بين براءة اطفالها واحلامهم وبين الواقع الاجتماعي الذي يسحق « نظمة » وشعرها الاسود .

في هذه المحاور الاربعة تتكامل تجربة « دمشق الحرائق » لتعطي وجها جديدا في بناء القصة العربية . غير أن قصة واحدة (رحيل الى البحر) تخرج عن اطار محاور هذه المجموعة وان كانت محاولة كثيفة لنقل تجربة عميقة الجذور في واقعنا. فهي تستبدل الحلم بالكابوس وتحول الرمز الاسطوري الشفاف الى رمز مباشر . فالبحر بعيد ولا يصل اليه أحد والرحيل صوبه او صوب جسد المرأة يبقى رحيلا بلا نهاية . فالطريق طويل وشاق. وعلى الجانبين يقف رجال الشرطة ليمنعوا الرجل من الوصول . وفي النهاية يأتي الموت حاملا حزنه البارد : « انا لا استطيع الضحك او البكاء لان الديدان والجرذان أكلت رئتي وعيني وحنجرتي . ارسلي الي ملابس صوفية . آه القبر بارد يا ابي وشمس البحر ناحية » .

في اطار هذه المحاور الاربعة يأتي البناء القصصي ليؤكد على مسألتين :

من **جهة اولى** فهو تأكيد على ضرورة اكتشاف مجالات جديدة للتعبير . وتعبر هذه الضرورة عن نفسها في التقاط لحظة الدهشة بالحياة . فالاحداث اليومية ، والمواقف العادية تجري هنا عملية اعادة سكبها من جديد انطلاقا من عيون الاطفال . لكن عيون الاطفال ليست وحدها منظور الرؤية . انها نغم قاعدي يتحرك في ثنايا جميع القصص . لكن النغم ما ان يعلو قليلا حتى يتدخل صوت الواقع الاجتماعي ويقوم بعملية قمعه . فالرؤية اذن تأتي من خارج السياق ، انها مكان يشرف